الدليل الثامن
القرآن والعلم

قال الفيلسوف الإفرنسي ألكسي لوزان : « إن القرآن الكريم هو آية في البلاغة وسجل للأخلاق وكتاب مقدس ، وليس بين المسائل العلمية المكتشفة حديثاً أو المكتشفات الحديثة مسألة تتعارض مع الأسس الإسلامية فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية » .

وإن الآية الأولى التي نزلت على محمد ﷺ لتدق ناقوس العلم ليتحرك . .

﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ . . . ثم الآية الثانية ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾ . .

وهذا قسم عظيم ، فيه تقديس للمقسم به ، وإعلاء لشأنه . . .

واستمر القرآن بآيات كثيرة يعتمد في مسيرته الفكرية والاجتماعية والسياسية على العلم والمعرفة وكان يؤكد على فضل العلم . . .

﴿ يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات . . . ﴾ .

﴿ إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء ﴾ .

فالقرآن كان الباب الذي خرج منه العقل البشري الناضج بعد أن قطع الدهر في طفولته ومراهقته ، وكان المرحلة النهائية لمراحل الأديان والكتب المقدسة السماوية . . . وكل دين سماوي ما هو إلا طور من أطوار النمو لهذا العقل الإنساني ، وما التاريخ إلا مقياس عقلي درجاته وأرقامه هذه العصور المختلفة التي يستعيد العقل فيها مقدار زيادته ، ومقدار نقصانه . ولذا جاء القرآن خاتمة لمراحل النضج البشري ؛ وذروة في الكمال الإنساني ؛ فوضع الأسس الثابتة للمعرفة ، والخطوط العريضة المستقرة للحياة على هذه البسيطة ، وأرسى قواعد الحضارة وحمّل الإنسان المسؤولية الكبرى في جميع تصرفاته ، وهذه الآية تشهد بذلك ﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾ وأكد في الحض على طلب العلم والمعرفة ولم يقصرها على العلوم الشرعية فقط بل إن كلّ علم نافع فهو في الشريعة الإسلامية فرض كفاية : إن لم يوجد في الأمة من يتعمق ويختص به أثمت الأمة جميعاً وإن قام به بعضهم سقطت فرضيته عن الآخرين .

وإن عدد آيات القرآن التي ذكرت العلم ونوهت بفضله تزيد عن /٨٣٥/ آية . ولا يعرف مثل هذا الحافز العلمي والاجتماعي في غير القرآن ، ولم ترتق الأمم الحديثة إلا به وإذ تجد لكل علم رجالاً

ينطقون به ويحيون له ، ويموتون عليه وبهذا يدعو الإسلام إلى العلم بلا نظير وهذا يلمح في قوله تعالى :

﴿ فلولا نفر من كل فرقة منكم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ [التوبه : ١٢٣] .

بالإضافة إلى طلبه للعلم ، والحث عليه فقد جاء القرآن كاشفاً اللثام عن بعض العلوم ، ولو بشكل مقتضب وقد أثبتها قبل أربعة عشر قرناً ولقد أشار إليها العلم وجاء مؤكداً لها :

﴿ ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً ﴾ [نوح : ١٦] .

وهذا هو العلم يثبت أن القمر جرم مظلم وإنما يضيئ بما ينعكس عليه من نور الشمس التي هي (سراج) إذ النور لا يكون من ذات نفسه ابتداء ، ولا بد له من مصدر يبعثه فذكر السراج بعد النور . . وهذا دليل على أن هذا مصدر لذاك ! فتأمل . . أيمكن أن يكون هذا في طاقة رجل من الأميين يحدث الناس قبل أربعة عشر قرناً حيث لاكشف للعلم عن ذاك ولم تصل علوم الفلك إلى القبول بهذه النظرية ، وقد ثبت الآن بالدليل القاطع عند العلماء وخاصة بعد صعودهم إلى القمر وكشفهم للأيام المظلمة والأيام المضيئة على سطحه حيث لا تنعكس الشمس في أيام وتكون أيام القمر مظلمة والأخرى تنعكس فتسمى أياماً مضيئة .

﴿ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ .

وهذه الآية العلمية الفلكية تشهد على نبوة محمد لأن العلم الحديث قد أعلن بالسير المستمر للشمس نحو نجم كبير يسمى الجاثي . . . وإن هذه الآية في ظاهرها كانت تخالف ما أجمع عليه علماء الفلك في عصر اليونان وهذه الاكتشافات الحديثة أتت مواكبة للقرآن . .

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق . أولم يكف بربك أنه على كل شيْ شهيد ﴾ [فصلت : ٥٣] .

﴿ أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيْ حي أفلا يؤمنون ﴾ [الأنبياء : ٣٠] .

إن هذه الآية القرآنية تخبرنا أن السموات والأرض كانتا شيئاً واحداً متصل الأجزاء ثم انفصلتا . .

هذه معجزة من معجزات القرآن يؤيدها العلم الحديث الذي قرر أن الكون كان شيئاً واحداً مكوناً من غاز ثم انقسم إلى سدائم ، ومجرتنا الشمسية كانت نتيجة تلك الانقسامات ومما يؤيد هذا القول أن العلماء استدلوا على أن في الشمس ١٧ عنصراً من عناصر الأرض والعناصر الشهيرة في الشمس هي ذاتها الشهيرة في الأرض

وهي : الهيدروجين والهليوم والكربون والآزوت والأكسجين والفوسفور والحديد الخ . . استدل العلماء على كل ذلك بالتحليل الطيفي وهو الذي يستدل به الكيماويون اليوم في معاملهم على ما تحتويه المواد الأرضية من عناصر يكشفون عن نوعها وعن مقدارها . .

ومن ناحية أخرى فإن النيازك هي المواد التي هبطت من إحدى الكواكب وتبردت . وموضوعة في المتاحف العلمية الحديثة في العالم ، هي الأشياء الملموسة الوحيدة التي حصل عليها العلم من الفضاء الخارجي ولاحظوا أن أكثر العناصر شيوعاً في الأرض هي ذاتها الشائعة في النيازك الحجرية التي عثروا عليها ، أما الشطر الثاني من الآية :

﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ .

فهو من أبلغ ما جاء في القرآن في تقرير حقيقة علمية ، أدرك العلماء سرها فمعظم العمليات الكيماوية اللازمة للحياة والنمو يحتاج إلى الماء ، وهو العنصر الأساس لاستمرار الحياة لجميع الكائنات والنباتات . والماء يغطي ثلاثة أرباع سطح الأرض ، وله درجة ذوبان مرتفعة ، وهو يبقى سائلاً فترة طويلة من الزمان ، وله حرارة تصعيد بالغة الارتفاع ، وهو بذلك يساعد على بقاء درجة الحرارة فوق سطح الأرض عند معدل ثابت ويحفظها من التقلبات

العنيفة ولولا كل ذلك لتضاءلت صلاحية الأرض للحياة إلى حد كبير ، وللماء خواص أخرى تدل على أن مبدع الكون قد صممه بما يحقق صالح مخلوقاته . . فالماء هو المادة الوحيدة التي تقل كثافتها ويزيد حجمها عندما تتجمد ولهذا الخاصة أهميتها الكبيرة بالنسبة لحياة الأحياء المائية ، إذ بسببها يطفو الجليد على سطح الماء عندما يشتد البرد بدلاً من أن يغوص إلى أعماق المحيطات والبحيرات . . ويكون الثلج طبقة عازلة تحفظ الماء الذي تحتها في درجة حرارة فوق درجة التجمد . والماء يمتص كميات كبيرة من الأكسجين عندما تكون درجة حرارته منخفضة ، وعندما يتجمد الماء تنطلق منه كميات كبيرة من الحرارة تساعد على صيانة حياة الأحياء التي تعيش في البحار من الأسماك وغيرها ، فما أعجب حكمة القرآن الذي بين بكلمات قليلة العدد سر الحياة على هذه الأرض .

هذه الآية من أقوى الدلائل على صدق نبوة محمد ، فالقرآن استهل هذه الحقائق عن وحدة الكون وسر الحياة بمخاطبة الذين كفروا بوجود الله بهذه الدلائل العلمية الدامغة التي تدل على وجوده وصدق نبوة الرسل لهم ، والتي لم يدرك العرب في الماضي أسرارها بل أدركها العلم اليوم بعد جهود استغرقت أجيالاً في مجالات هذا الكون .

ونرى في خاتمة الآية استبطاء مع استفهام فيه الاستغراب والتعجب

من جمود فكر المجادلين بقوله : أفلا يؤمنون .

آية النحل في القرآن التي تجلت بفوائد جمة للعسل وقد استحضرها الأطباء وأجمعوا على علو الفائدة من استعماله فلنقارن بين الآية التي تقول :

﴿ يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ [النحل : ٦٩] .

نجد أن القرآن يقرر بأن في العسل شفاء للناس وجاءت الاكتشافات الطبية الحديثة تؤكد عملياً وعلمياً الشفاء المكون في العسل والدكتور جارفس الطبيب المتخرج من مدارس الطب البريطانية وصاحب المباحث العلمية الشهيرة يقول في كتابه (عن الطب الطبيعي) قال : إن الدكتور ساكيت أستاذ البكتريا بكلية الزراعة في فوت كولنز وضع أنواعاً من جراثيم الأمراض في قوارير مملوءة بالعسل الصرف . فماتت جراثيم التيفوئيد بعد ثمان وأربعين ساعة . . وماتت جراثيم النزلات الصدرية في اليوم الرابع . . وماتت جراثيم الدوسنتاريا بعد عشر ساعات وماتت جراثيم أخرى بعد خمس ساعات .

ثم يقول ويقرر أن البكتريا لا تعيش في الشهد لاحتوائه على مادة البوتاس وهي تحرم البكتريا تلك الرطبوة التي هي مادة حياتها . .

ثم نقل تقرير الأستاذ شويث العالم الكيماوي الذي يقول فيه : إن الأغذية المعدنية تختلف باختلاف ألوان الشهد ويبين علاقة المواد الغذائية باختلاف ألوانه وما احتوته من أسباب الشفاء ثم يعدد مزايا المادة السكرية في الشهد قائلاً عنها :

١ ـ إنها لا تهيج جدران القنوات الهضمية .

٢ ـ إنها سريعة التخثل في البنية .

٣ ـ إنها تتحول سريعاً إلى طاقة بدنية .

٤ ـ مناسبة للمشتغلين بالألعاب الرياضية لتعويض الطاقة .

٥ ـ إنها من بين أنواع السكريات أوفقها للكليتين .

٦ ـ إنها مهدئة ملطفة .

٧ ـ مساعدة طبيعية لعملية الهضم فضلاً عن سهولة الحصول عليها[1] .

ثم يلخص خصائص الشهد النافعة للعلاج بخمس وعشرين صفحة .

وبعد هذا التقرير الطبي ماذا نقول ، أنى لمحمد بن عبد الله أن يتعرف هذه الأسرار المختبئة وراء العلوم ، وخلف القرون التي لم

---

(١) ما يقال عن الإسلام ص٧٢ .

يكشفها العلماء إلاّ في عصرنا الحديث . . بل نجد أن القرآن قد خصص سورة كاملة سماها (سور النحل) وذلك لأهميتها وفوائدها وما عرف الرسول ذلك بالدراسة أو بالنقل ، لأن تلك الفوائد لم تكن معلومة ، وهذه الآية هي الدليل القاطع على توافق العلم الحديث بأعلى اكتشافاته الحديثة مع كتاب الله عز وجل .

ولم يبين قيمة النحل إلا من أوجد سرائر العلوم وخفايا الأشياء ولن يكون الموجد لهذا الكتاب العلمي الفكري الرائع إلا موجد الأشياء وخالقها . .

وإلا فماذا يجبر الملحد والمكابر على مقارنة هاتين الحقيقتين: توافق القرآن في هذه الأمور مع توافق العلم لما آل إليه من بحث واكتشاف .

قال الله تعالى :

﴿ والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون ﴾ [الذاريات : ٢٧] .

أما ترى معي أن هذه الآية تشرح وتصف اتساع الكون أم أنها تقرر نظرية تمدد الكون .

فمن الناحية الأولى نرى أن آينشتين يتخيل سعة الكون بأنه يتسع لبلايين من السدم ، كل سديم منها يحتوي على مئات الملايين من النجوم الملتهبة[1] وهذا ما قرره علماء الفلك وإذا أردت سعة

---

(١) عن كتاب (العلم وأنشتين) .

الاطلاع على هذا الموضوع فبوسعك مراجعة كتاب (مع الله في السماء) لأحمد زكي فهو يقرر فيه أن في السماء نجوماً بعدد حبات الرمل الموجودة في مساحة أرض كبريطانيا على عمق ٣٠٠متر . . وقال بعضهم لو وضعت على خط الاستواء رقم ١ ثم وضعت أصفاراً أمام الواحد حتى ينتهي خط الاستواء في الطرف الثاني لكان عدد النجوم أكبر من هذا العدد . .

أما نظرية تمدد الكون التي يقررها القرآن فقد لاحظ علماء الفلك في أقصى ما يدركه المنظار علامات تدل على حركات السدم الخارجية ، حركات نظامية استدلوا منها على أن جميع السدم الخارجية أو « الجزر الكونية » تبدو على أنها تتباعد عن مجموعتنا الشمسية ، بل ويتباعد بعضها عن بعض ، وعلى هذا الأساس ، فإن الكون ليس ساكناً إنما يتمدد كما تتمدد فقاعة الصابون أو كما يتمدد البالون ولكن الأجسام المادية فيه تحافظ على أحجامها .

وقد تقدم عدد من العلماء الفلكيين بنظريات تشرح لغز الكون الممدد منهم الدكتور هابل رائد الباحثين في السدم فقد لاحظ أن هناك نزعة واحدة تسود هذه المجموعات النجمية الشاسعة البعد ، وهي أنها أميل إلى الإدبار عنا منها إلى الإقبال كما لاحظ أن سرعة الإدبار تزيد بازياد أبعاد هذه الجزر الكونية[1] .

---

(١) (كتاب الشمس) الدكتور جورج جامون .

قال الله تعالى :

﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعَّد في السماء ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

هذه الآية توضح ما اكتشفه العلم الحديث وذلك بفضل الطيران والبالونات وأدرك العلماء بأن في الصعود ظاهرة طبيعية تنتج عن نقص أكسجين الهواء في طبقات الجو العليا فيشعر الصاعد في هذا العلو ببعض الصعوبة في التنفس ويحس بالضيق . . . علماً بأن محمداً ﷺ كان يعيش في سهل ولم ينتقل بين الجبال، لأنه ربما يقال بأنه استدل بها من تجاربه الشخصية فنرى روح الإعجاز قد خيم على هذه الآية التي صرحت بأن من يرتفع في السماء يشعر بعوارض الضيق ، وقد لفتت هذه الظاهرة نظر هواة التسلق حتى قبل ارتياد الطبقات الجوية العليا ، فضلاً عن أن الآية لم تُعبِّر عن لفظ الصعود في الجبال بل عبرت عن الصعود (في السماء) وعلماً بأن بلاد العرب ذات سطح منبسط وصحارى ممتدة لا يعرف فيها الساكن فكرة عن تسلق الجبال العالية ولا يشعر المتسلق فيها شيئاً من الضيق ، وهذا الاتفاق الرائع بين الآية القرآنية والعلم يثبت صدق نبوة محمد ﷺ .

قال الله تعالى :

﴿ وإن من شيءٍ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ [الحجر : ٢١] .

وقال أيضاً :

﴿ وكل شيءٍ عنده بمقدار ﴾ [الرعد : ٨] .

وقال في موضع آخر :

﴿ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيءٍ موزون ﴾ [الحجر : ١٩] .

إن الباحث الموضوعي يرى الترادف والتوافق بين الآيات والواقع العلمي الحديث وعلى سبيل المثال نجد أن نسبة الأكسجين في الهواء ٢١٪ فلو ازدادت لأحرقت كل مادة قابلة للاحتراق ، لدرجة أن أول شرارة من البرق تصيب شجرة لابد أن تلتهب الغابة التي حولها . .

ونلاحظ أن تغذية القلب للأعضاء فيها الاتزان والتناسق في العطاء ، فالعين تأخذ قدر حاجتها والفخذ يأخذ قدر حاجته وكل شيءٍ في مقدار معلوم لا يتعداه ثم إن اشعاعات الشمس هي مقدار فلو أنقصت الشمس نصف إشعاعها الحالي لتجمدت الأرض ومن عليها ولو ازدادت بمقدار النصف لأصبحنا رماداً . .

والمتأمل الجاد يرى أن الثمار تتنوع خلال فصول السنة ويرى

النضج المرحلي في النوع الواحد دون طفرة واحدة ويرى أن المقدار ينضج بالتدريج ثم يستهلكه الإنسان ثم ينضج غيره وتستمر الشجرة بالعطاء لفترة شهر أو يزيد . . فكل بقدر معلوم . .

وهذه الآيات العلمية الثلاث تثبت خلاصة ما قاله العلماء عن القوانين العلمية والدساتير الرياضية . وهل كان محمد ﷺ باحثاً أو فيزيائياً أو كيميائياً أو أنه الوحي الذي بكل هذه الآيات العلمية يهز قلوب الجاحدين ويلين أسماع المتغافلين على مر العصور وهذا مصداق قوله تعالى :

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ [فصلت : ٥٣] .

بعد هذه المجموعة من الآيات الفكرية علينا أن نصغي إلى أقوال العلماء في علوم القرآن وموافقتها للعلوم الحديثة . . وهذا بريغولت في كتاب (بناء الإنسانية) يقول : لقد كان العلم أهم ما جاءت به الحضارة العربية على العالم الحديث ولكن ثماره كانت بطيئة النضج . . ثم يقول فإنه على الرغم من أنه ليس ثمة ناحية واحدة من نواحي الازدهار الأوربي إلا يمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة ناطقة .

وعلينا أن نثبت لك في الكتاب مقتطفات مما قالته الدكتورة لورافيشيا فاغليري في كتابها « دفاع عن الإسلام » تصف العلم

العميق في القرآن وتنفي أن يكون من صنع محمد ﷺ فتقول :

« إننا نقع ثمة على ذخائر واسعة من المعرفة تعجز أكثر الناس ذكاء وأعظم الفلاسفة وأقدر رجال السياسية . ولهذه الأسباب كلها لا يمكن للقرآن أن يكون من عمل رجل غير مثقف قضى حياته كلها وسط مجتمع جاف بعيد عن أصحاب العلم والدين ، رجل أخبر دائماً أنه ليس إلا رجلاً مثل سائر الرجال فهو بوصفه هذا عاجز عن اجتراح المعجزات . . . .

وإن القلم ليدفعني دفعاً حثيثاً لأكتب ما قاله أحد كبار المبشرين في أفريقيا عن الحضارة الإسلامية وأثر القرآن في دفعها للعلوم والمعرفة فقال بانين في كتابه « دور الإسلام في مستقبل القارة الأفريقية» .

(إن أسباب انتشار الإسلام بين الأفريقيين ـ إذا روجعت أسبابه جميعاً ـ إنما هي نتيجة لا محيد عنها لانتشار حضارة إنسانية ممتازة ولم تكن في العالم حضارة تضارعها ، أو تقوى على مغالبتها ، وإن وصول الإسلام إلى القارة الأفريقية كان ملازماً لوصوله إلى القارة الآسيوية ، وقد كان امتيار حضارة الإسلام سبباً كافياً لسيادته على العالم المعمور ، والعالم المجهول الذي يصل إليه العربي المطبوع على الترحل والسياحة يعينه على مطاوعة هذه النزعة أنه اقتبس كل ما يقتبس من اليونان ، والأمم القديمة من علوم الجغرافيا والفلك ،

وزاد عليها حب الكشف الذي سرى إلى جميع المسلمين) .

وبينما كان الأوربيون يقولون على السحر كان أطباء العرب يجرون عمليات الجراحة الصعبة ، ويحسنون الانتفاع بكثير من العقاقير ، ولا تزال طرق العلاج عندهم مما يستفيد منه الأطباء في علاج بعض الأمراض إلى هذه الأيام .

ولا ريب أن عقيدة ما إذا كانت متنافية مع العلم والعقل ، بل كانت عقبة كأداء في سبيل تقدم المدنية والحضارة ، فليس لها مجال أن تستولي على ذهن الإنسان ، وتمتلك عقله وعاطفته بحيث تظل قوة قائمة لها وزنها ، وتحتل مرتبة من مراتب الارتقاء العلمي والعقلي ، وممكنة لكل مرحلة من مراحل المدنية والحضارة بل إن بقاءها رهين ببقاء نظرية فلسفية محضة في بطون الكتب لا تكادتنسى بعد تناسخ الأيام ؛ ولا ترجع بأية جدوى على نظام الأمة وأخلاقها ، وأما إذا كانت عقيدة تعتمد على أسس فكرية وعلمية محضة فهي التي يكتب لها البقاء في عالم الوجود وهذا ما نشاهده في عقيدة القرآن من بقاء وتمثل في الأفراد والمجتمعات ، وبالإمكان كما حدث في عهد الخلفاء الراشدين إقامة مجتمع القرآن لأن هذا الكتاب أتى ليواكب العقل ويأمر بالعلم ويحض عليه ؛ وقد كتب ذلك العشرات من العلماء المنصفين وهذا واضح لمن يقرأ كتاب الله ؛ ولكن وللأسف إن عدد القارئين لكتاب الله من الذين

يعادونه قلة ؛ وما عادى كتاب الله إلا جاهل ، والإنسان عدو ما جهل وهذه لمحة بسيطة وسريعة عن بعض الآيات التي تدعو إلى الكثير من العلوم الحديثة والقديمة وقد لبى بعض المسلمين نداء القرآن وبذا تكونت النهضة العلمية الإسلامية منذ مطلع العصر العباسي وخرطت قوافل العلماء لترسي قواعد الحضارة الإسلامية فهذه مجموعة من الآيات الصريحة في دعوتها للعلم والمعرفة :

١ ـ ﴿ قل سيروا في الأرض ثم انظروا ﴾[1] . إن هذه الآية فيها تصريح لا تلميح في دراسة جغرافية الأرض وتاريخ الشعوب ، وحياتهم الاجتماعية والسياسية ومعرفة الأسباب المؤدية إلى ارتفاع الأمم وانخفاضها ، وقد درس العلامة ابن خلدون هذه الأحوال ودون في مقدمته المشهورة لمحة عن علم الاجتماع وكيفية تكوين الجماعات والعوامل المتعددة في دفع القوى الاجتماعية . .

٢ ـ ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب ﴾ [الزمر : ٩] .

وهذه الآية تبين فضل المتعلمين وشرفهم بل تجد أنهم متميزون عن غيرهم ثم حصر التذكر في أول العلم والمعرفة .

٣ ـ ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾

---

(١) الأنعام/ ١١ .

[المجالة : ١٢] .

٤ ـ ﴿ شهد الله أنه لا إِلٰه إِلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط ﴾ [آل عمران : ١٨] .

العلم الذي يدعو إليه القرآن :

هل المراد كما يظنه البسطاء من المسلمين والأعداء ؟

العلم الديني فقط ؟ لا . . ثم ألف لا . . بل هو كل علم نافع ، وقد قسم العلماء العلم إلى قسمين :

فرض عين : وجب على كل مسلم تعلمه ، وفرض كفاية : إِن تعلمه بعضهم كفى وإِن لم يتعلمه أحد كانت الأمة آثمة عاصية لله عز وجل ولنتصفح هذه الآيات ونرى أن سياقها يدلنا على أن العلم هو كل علم نافع :

قال تعالى :

﴿ فلينظر الإنسان مما خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ [الطارق : ٥ـ٧] .

وفي علم النشوء يقول لنا :

﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيءٍ قدير ﴾ [العنكبوت : ٢٠] .

وفي علم النفس : يتجلى لنا في قوله :

﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ [الذاريات : ١] .

أليس النظر في أغوار النفس يوصلنا إلى معرفة الغرائز والدوافع والميول والملكات . وفي التاريخ والاجتماع : نرى بوضوح في قوله تعالى : تلميحاً عليهم :

﴿ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ [الروم : ٩] .

لم يأمرنا بمعرفة تاريخ الأمم السابقة فقط بل والعبرة من دراسة التاريخ ، وهذا توجيه علمي للفائدة من البحث والاطلاع . . وفي هذه المناسبة لا بأس أن نسوق بعض الأقوال لمؤرخي أوروبا عن العلم والإسلام :

قال العلامة دريبر في كتابه (المنازعة بين العلم والدين) .

إن اشتغال المسلمين بالعلم يتصل بأول عهدهم باحتلال الإسكندرية سنة ٦٣٨م أي بعد وفاة محمد بست سنين ثم قال : فإنهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جداً وأوجدوا علوماً جديدة لم تكن معروفة قبلهم . .

وقال العلامة سيدلوت في كتابه (تاريخ العرب) :

كان المسلمون في القرون الوسطى منفردين في العلم والفلسفة

والفنون وقد نشروها أينما حلت أقدامهم وتسربت منهم إلى أوروبا فكانوا هم سبباً لنهضتها وارتقائها . .

وقال الدكتور جوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب) ولا نرى في التاريخ أمة ذات تأثير بارز كالعرب ، فجميع الأمم التي كانت ذات صلة بالعرب اعتنقت حضارتهم ولو حيناً من الزمن ولم يتجل تأثير العرب في الشرق في الديانة واللغة والفنون وحدها ، بل كان لهم الأثر البالغ في ثقافته العلمية أيضاً ، ونثبت الآن أن تأثير العرب في الغرب عظيم كتأثيرهم في الشرق وأن أوروبا مدينة للعرب بحضارتها .

ونقل عن الأستاذ ليبري قوله :

لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت حضارة أوروبا الحديثة عدة قرون وبعد هذا كله نصل إلى الاستغراب الشديد لرجل قبل أربعة عشر قرناً قد دعا إلى العلم بهذه الدرجة ؛ وبين فضله ؛ وتكلم عن المتكتشفات العلمية من وحي ذاته دون مؤثر خارجي ، وإن المنصف للحق يقول إن المشيئة الإلهية هي التي بينت كل ذلك ، وما هو إلا الوحي ، وإلا فما هو تفسير ذلك إن لم نقبل بالوحي . . !![1]

---

(١) وإذا أردت الزيادة في هذا البحث فعليك مطالعة كتاب (التوراة والإنجيل والقرآن) دراسة الكتب المقدسة على ضوء المعارف =

فجميع العباقرة والمصلحين لم يأتوا بمثل ما جاء به النبي المرسل محمد ﷺ .

= الحديثة للدكتور موريس بوكاي . وكتاب الإسلام كبديل للدكتور مراد هوتمان سفير ألمانيا في المغرب وكتاب الإسلام ومستقبل الحضارة للدكتور صبحي الصالح .